حماة بقدوم ناصر الدين ترحّل هو ايضاً للاقائه. فقال لهُ ناصر الدين: يا مولانا السلطان ما المملوك قبيل هذا الاكرام وقدرُك يجلُّ عنهُ. فاجاب صاحب حماة: « اذا انت لم تعرف قدري ولم اعرف انا قدرَك فمن يعرفهُ ». ونزل السلطان على باروتا عند جانب النهر. واقام ناصر الدين (٢ ق) بواجبهِ وخاع عليهِ صاحب حماة خلعةً كاملة

واخبرني ابو جميل من بيصور قال: كنت في خدمة ناصر الدين لمَّا تلقى صاحب حماة في الدامور. وكنت اذ ذاك شابًّا حدث السنّ. ولم يذكر اسم صاحب حماة ولا لقبهُ ووجدت غيرهُ ممن لهم علم بهذه الحكاية فلم يكن لهم ايضاً معرفة باسمهِ. (قلتُ) هو احد الاثنين امَّا الملك المؤيّد اسماعيل (ابو الفداء) واما ولدهُ الملك الافضل علي ورأيتُ بين آثار السَّلف خلعًا فكان بينها خلعة طَرْدوحش (١ بقرٍ وسنجابٍ دائرهُ قندس (٢ وحياصة (٣ وطرفان من الشاش. وذُكر لي انَّها خلعة صاحب حماة المذكور

ستأتي البقيَّة

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي

١ توطئة

ليس من ديانة تتغيَّر على ممرّ الاعوام. لا بل على ممرّ الايام. مثل ديانة اتباع يزيد. فهي كل يوم تنقص او تزيد. بما يدخلها من رأي جديد. او بما يسقط منها ما اصبح فيها غير مفيد. وذلك حسب اهواء الشيوخ والرؤساء. اذ يخطّئون غالبًا بحكمهم الجائر من احسن و يصوّبون من اساء. حسبما تهبّ بين ايديهم نَفحاتُ الصفراء والبيضاء. تلك التي تصفّر اوجهًا او تسودها وان كانت بالحقيقة حسناء وضَّاءة. وربما كان ايضاً سبب تلوُّنهم في الاراء الدينية. عدم وجود كتب سَنَدية. يعتمدون عليها في تعاليمهم الاخروية والدنيوية. ولذا ترى اليزيدي:

---

١) الطَّرْد وحش كلمة مركبة يراد بها جلد الوحش القنيص وقد عيَّن نوعهُ بقولهِ « طرد وحش بقر وسنجاب » راجع تاريخ المماليك للمقريزي Quatremère: *Hist. des Mam-luks* II², 69 seqq.

٢) اي جلد قَنْدَس وهو كلب البَحْر ٣) الحياصة المنطقة

كريشة بهبّ الريح ساقطة لا تستقرّ على حال من القلقِ

فهو كل يوم برأي ديني جديد. وبمعتقد وامٍ او سديد. حسبما قال عمل او جمع. ان كان من الامراء. او حسبما رأى سمع او دفع. ان كان من الفقراء. وعليهِ فيحق لكل واحد من هذه الشيعة الممقوتة ان يقول. ما نطق بهِ بديع الزمان صاحب المعقول والمنقول. عن لسان ابي الفتح الاسكندري الذي لا تعرف دراريُّ مبتكراتهِ الأفول:

انا ابو قلمونٍ في كل لونٍ اكونُ

او كما قال آخر: أكابي براقش كل يو م لونهُ يتقلّبُ

٢ التعريف جم تبعاً لمذهبهم

ومصداقاً لما قلتهُ. في هذا الموضوع. أورد بعضاً مما نلتهُ. من اصحاب هذه الديانة من المعروف عندهم الفاشي الشيوع. لا تأييداً لزعمهم. بل لاستباح الناس لمذهبهم ودينهم فاقول: سئل احد شيوخ اليزيدية في هذه الايام عن اصلهم فقال ما معناهُ: انَّ اصل اليزيدية قديم شريف يتصل باوائل خلق الانسان. وذلك انَّ الله عزَّ وجلَّ بعد ان خلق آدم وحوّاء. وقع بينهما الخصام في شأن ذرّيتهما. فآل بهما النزاع الى ان افترقا في مكان معلوم يبعد الواحد عن الاخر مسافة اربعين يوماً فرُزق آدم بنوع عجيب ولداً قسيساً. فاستاءت لذلك حوّاء. وانفردت بخلوة وطلبت الى الله أن لا تكون ذليلةً في عيني زوجها فولدت طفلةً غادةً اخذ حسنُها في قلب آدم فزوّجا الشابَّ بالطفلة فجاء منهما نسل اليزيدية المبارك. غير انَّ هذه الذرّية لم تسمَّ بهذا الاسم الجديد الّا بعد زمن مديد. وذلك ان تلك السلالة بقيت محافظةً على شرف اصلها بدون ان تختلط بسلالة اخرى وعلى سموّ ديانتها من عبادة الله وطاووس ملك (اي الملك الطاووس وهو عندهم الشيطان) حتى دخل هذه العبادة بعض الطوارئ على مرّ الزمان فقام واحد من الخلفاء اسمهُ يزيد وعمل من الآيات والمعجزات ما عمل ومنذ ذلك الحين تسمى أتباعهُ باليزيدية

واما يزيد المذكور فيزعمون انهُ يزيد بن معاوية بن سفيان وانَّ أمَّهُ من اصل نصراني اسمها شلخة ويحكون عنهُ الحكايات المختلقة بل السفاسف الساقطة بل الفضائح الشائنة التي لا توافق شيئاً من اخبار الاقدمين. ويبدي من ذكرها خجلاً كلُّ جبين. ويزيدون على خرافاتهم انَّ يزيد التجأ لإدراك اوطارهِ السيئة الى احد الشيوخ اسمهُ عادي وكان رجلاً عالماً ذا تقشُّف وشظف عيشٍ الّا انَّ صدرهُ يكنُّ الخداع والمكر

قد ابتدع نِحلةً في الدين فتعلّم يزيد طريقتهُ وعلمها لجميع من اتّبعهُ وهي الطريقة التي يتبعها اليوم اليزيدية

وسئل بعض أئمة اليزيديين عن الشيخ عادي فذهب الى أنهُ كان شيخ قبيلة وأنهُ كان من اتباع يزيد فاراد ان يُحدِث او ينشئ بدعةً يكون إماماً فيها فتوارى يوماً عن الابصار بحجّة انهُ يذهب الى مكة للحج. فتراءى لهُ طاووس ملَك (اي الشيطان) وعلّمهُ أشياء مختلفة. فلمّا قفل الى قومهِ قال لهم: « اني ذهبت الى مكّة وامرني الله أن اعظكم. ومن جملة ما وعظهم انهُ قال لهم: لا حاجة للصوم ولا للصلوة فحسبُكم ان تؤمنوا بقدرة طاووس ملك وسلطتهِ فتخلصوا في يوم الدين ». فآمنوا بهِ وتبعوهُ. انتهت الرواية

اما تحرير الرواية في كل ذلك فهو ان اليزيدية على ما قالهُ الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل هم: « اصحاب يزيد بن أُنَيسة الذي قال بتولّي الحاكم الاولى قبل الازارقة وتبرّأ ممّن بعدهم الّا الأباضية فانهُ يتولّاهم. وزعم انّ الله تعالى يبعث رسولًا من العجم ويُنزل عليهِ كتاباً قد كُتب في السماء ويُنزِل عليهِ جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى (صلعم) ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن وليس هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط وتولّى يزيد من شهد للمصطفى (صلعم) من اهل الكتاب بالنبوّة وان لم يدخل في دينهِ وقال ان اصحاب الحدود من موافقيهِ وغيرهم كفّار مشركون وكل ذنب من صغير وكبير فهو شرك عندهم ليُعلَم ذلك » (اه بحرفهِ)

فلما وقف المسلمون على كنه ديانة اليزيديين وأصولها الفاسدة أصلوهم ناراً حامية لما في بدعتهم ما ينافي الدين المحمّدي. فامسى اليزيدية ممقوتين من المسلمين اهل السنّة لقولهم بان الله يبعث رسولًا من العجم. وكرههم اهلُ الشيعة ايضاً لانّ يزيد بن أُنَيسة صاحب اليزيدية كان من الاباضيّة والاباضيّة هم شعبة من الحكميّة والحكميّة فرقة من الخوارج او النواصب او الحرورية نسبةً الى حروراء وهو الموضع الذي خرج فيهِ اول الشُراة على عليّ الذي يغالي اهل الشيعة في حبهِ وتقديمهِ. وما زال المسلمون يضايقون اهل هذه البدعة الغريبة حتى ألجأوهم الى الفرار الى جبال سنجار فتحصّنوا واستحكموا فيها

غير انهُ لما كانت بدعتهم تُعظّم العجم وتجلّهم اذ كانوا ينتظرون منهم مجيء نبيهم

من بلادهم تزاحم اهل فارس على الانخراط في سلك هؤلاء المبتدعين. ولم تكن يومئذٍ بلاد فارس اسلامية كما هي اليوم بل كان يغلب على سكانها الديانة المانوية او الثنوية. فما زال الزنادقة او المزدكية او من ضاهاهم بعقائدهم يدخلونها افواجاً حتى رأى اليزيدية في ذلك الفوز والنصر من الله. فتغلب اذ ذاك العنصر العجمي او الفارسي او الكردي على العنصر العربي او الشرقي واثر هذا التغلب في الديانة اليزيدية نفسها. فان لغتهم الدينية بعد ان كانت عربية غدت فارسية او كردية. وبعد ان كانت ديانتهم تقرب من الاسلامية في عقائدها وشعائرها ورسومها ابتعدت عنها واقتربت من الديانة المانوية فان أتباع يزيد يكرمون الى يومنا هذا الشمس والقمر وسائر الكواكب والنار والماء وسائر العناصر والسحاب والبرق وسائر الاحداث الجوية والعلوية واخذوا يعظمون ما يسمونهُ بالمبدأين الأولين كما يسميها الثنوية وهما الخير والشر. النور والظلام وبعبارة اخرى: الرحمان والشيطان. فاصبحوا يترضون (والعياذ بالله) ابليس الرجيم الى يومنا هذا كما يترضون الاله الرحيم. وزد على ذلك اعتقادات وأعمالاً اخرى لا محل لذكرها في هذا الباب لخروجها عنهُ وكلها تشهد بصدق ما نكتبهُ

ودخول مثل هذه الاشياء في الديانة اليزيدية هي التي اوقعت كتبة الافرنج في مَهواة الخلط في اصلهم والخبط فيهِ ولا خبطَ العشواء فتقوّلوا تقوّلات تنافي التواريخ الشرقية والنقول الاسلامية والتقاليد الملّية. فمنهم ذهبوا في اصلهم: «ان اليزيدية هم من الفرس ويشهد على ذلك اسمهم فهو مشتق من يَزْد او إزد ومعناهُ اله او روح صالح وهو ضدّ أهرمان الذي هو المبدأ الشرير. وزاد اوجين بوره (Eugène Boré) قائلاً: «ولعمر الحق ان كل شيء فيهم يوضح آراء يُتمّ منها رائحة ديانة زرادشت التي ادخل فيها مانى صاحب الثنوية المانوية بعض التغييرات(١» (اه). وقال غيرهُ: «وقد عدّ المؤرخون الاقدمون هذه الملّة بين القبائل الكردية الخمس الاصلية مع تميز الفروق الموجودة في ما بينها وهي فُرق بيّنة واضحة تميزها عن سائر السلائل الاصلية المتوطنة هناك» (٢ (اه)

ولا شكّ أنهُ دخل في هذه الديانة جماعة من النصارى في اوائل نشوئها. والادلة على ذلك كثيرة منها: ١ وجود بعض أعمال دينيّة لا توجد الّا عند النصارى

(١ Apud Migne. — *Diction. des Religions* T. IV, art. *Yézidis*

(٢ Vital Cuinet — *La Turquie d'Asie*, p. 772

كالمعمودية الموجودة عند جميع اليزيدية والشَّبر (٣ . ولا يوجد الا عند اليزيدية القيمين في خارج سنجار. ٢ً ومنها ايضاً ان سكان جبل سنجار كانوا كلهم سابقاً نصارى وكان فيه للسريان الشرقيين مطرانيَّة شهيرة تسمى مطرانيـة شيكر اي سنجار. اما اليوم فاهـل سنجار كلهم يزيدية الا في ما ندر. وهل يمكن ان اليزيدية طرأوا على نصارى سنجار حتى اجتاحوهم عن آخرهم فهذا مما يأباهُ العقل السليم. وبالاخص اننـا نعلم العلم اليقين ان النصارى لم يزالوا فيه حتى اواسط القرن الثامن عشر من تاريخنا. فلا بُدَّ من ان بعض النصارى تراخوا في ديانتهم من بعد ان عاشروا هؤلاء الاقوام مُدَّة ثم دانوا بدينهم لغاية من الغايات لا محلَّ لذكرها هنا. ٣ً ومن ذلك ايضاً ان نصارى تلك الاصقاع الخاضعة لابرشية الموصل يُسمون اليزيدية دَسَنَاية اي داسانيين او سكان ارض داسن وكانت هذه ايضاً من أبرشيات النـاطرة. فلعلَّ هؤلاء النصارى لمَّا بلغ منهم الجهل كل مبلغ كما هم عليه الان دانوا باليزيدية جَهلًا منهم او حبًّا بألفتهم والتزوج بنـاتهم وغير ذلك من الغـايات الدنيوية الدنية. ٤ً ومن ذلك ايضاً ان طائفةً من النصارى في تلك النواحي يقولون بان الشيخ عادي المكرَّم عنـد اليزيدية ليس الَّا الرسول أدّي او عَدي من الرسل الذين نصَّروا اهل هذه البلاد وكان قد أُقيم على اسمهِ بيعة هي اليوم مزار الشيخ عادي مُصلَّى اليزيدية. ٥ً ومنها ايضاً ان من الذائع على السن النصارى في تلك البلاد انهُ يوجد اليوم في جبل سنجار مكتبة عظيمة مشحونة بل مرصوفة بالكتب النفيسة القديمة الكلدانية وعليها حارس يحافظ عليها اشدَّ الحافظة وهم يكرمونها ويعظمونها بما في طاقتهم اذ انهم يوافونهـا كل يوم احدٍ وجمعة من الاسبوع ويبخّرونها ويشعلون سُرُجاً امامها ويحفرون امر وجودها على عامَّتهم ولا يُطلعون عليها الَّا من كان منهم في صدور المناصب الرفيعة الكاتمين لبنات الصدور مبينين بذلك ان اجدادهم كانوا من النـاطرة وهم يحافظون على كتبهم هذه خوفاً من ان تتناولها ايدي الجهلة (١ . غير اني اخشى ان تكون هـذه الحجَّة على غير سند

---

١) الشَّبَر هو المعروف اليوم عند النصـارى بسرّ القربان او سرّ الاوخارستيَّة والشَّبر تعريب معنويٌّ كاسم εὐχαριστία اليونانية التي معناها الشكر وابداء المعروف. ومعنى الشَّبر لغوياً العطيَّة والخير وهو بمعنى اليونانية تقريباً

٢) هذان الدليلان اخذتهما عن حضرة الفس قرياقوس متوق الكلداني الذي كان قد أُولع

مكين صادق بل على سند وهمي او على مبالغة لا غير وقد اشاع هذه الاراجيف بعض المتشدقين بمعرفة أسرار هؤلاء الاقوام وتمويهها على عقول الاغرار

وقد سألت بذاتي يزيدياً مُطلعاً كل الاطلاع على أخبار قومه واستطلعتُ حقيقة الامر في ذلك فقال: «كان اخي من المتردّدين الى جبل سنجار كل التردّد فسألتهُ قائلا: أصحيح انهُ يوجد عندنا في الجبل مكتبة نفيسة عظيمة فيها كتب عديدة جليلة قديمة على ما يرويهِ نصارى هذه الاصقاع. قال: اني انا ايضاً قد سمعتُ مثلك بهذه الاخبار فاستخبرتُ عن ذلك صديقاً كان مقرّباً من الشيخ فقال: انهُ لا يوجد الّا ستة او ثمانية كتب محفوظة في غرفة خصوصية ومفتاح قفلها عند الشيخ وقد أُقيم على بابها حارس يحرسها. وهو يُخرجها في الشهر مرّة في ايام القيظ ويشمسها لكي لا تفنيها الرطوبة. ثم يخرونها وتُعاد الى محلّها. والغاية من هذا التبخير طرد السوس عنها لانها تكرهُ رائحتهُ ولا يجوز لاحد ان يمسك هذه الكتب بيديهِ الّا الشيخ وابنهُ وإلّا يُقتل

والخلاصة مما تقدّم انّ ديانة اليزيدية هي بمنزلة كشكول لجميع الاديان. او هي بين الملل والنحل بمنزلة سفينة ابينا نوح في ايام الطوفان. اذ بها من كل معتقدٍ مقبولاً او مرذولاً زوجان. او هي في وسعها كقصر غمدان. اذ يُقبل فيها كل ما يدخل في حيز المحال والامكان. كما يتضح لك ذلك مما نذكرهُ باجلى برهان. واوضح بيان. وعلى الله التكلان (البقية تأتي)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب ابيل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السادس

في النجاة

ان مدينة نيويورك من ابهج مدن الدنيا واعظمها رونقاً وفخامةً وهي قائمة في

بالبحث عن هذه الشيعة واصحابها وكان قد اعدّ مقالةً لدرجها في المشرق لكن لمّا وقف على ما كتبتهُ في زيارتهِ اياي امسك عن الكتابة ورفع اليّ ما ابتدأ بتدوينهِ. وعليهِ فاني كلّ مرة اخذتُ عنهُ شيئاً نوّهت بهِ قياماً بواجب الشكر وارجاع الفضل لذويهِ